ولذي النجاد وذي الحلى وذويه ۝ صديقه واخي الهدى فادوقه ۝ مني السلام عليهم كالزهر في
نالبقيها والزهر في نالبقده ۝ وقال ۝ هواكم بقلبي ما الحكمه تنسخ
ومن نجله جفني بمدمعه ينضخ ۝ ومن ذلنشأني ما اذ صحت منه النشوة ۝ سواء به عصر الشباب والشرخ
عليه حياتي مذ تمادت دميتي ۝ ويبعثني اذا بالصور ينفق النفخ ۝ والخلد اضحى يجيش غرامه
ولا اشترك بدخاليه ولا فخ ۝ قتلت سلوى حين احببت لوعتي ۝ وما الصحيح بالاقرار حالتي لطخ
ولعذالي سعدي بجرح علاقتي ۝ وقصدي وقصدي لبس سعد ولا الكرخ ۝ وناصح كتمي ادركت بجنانه
تحول عليه من دموع الاسى نفخ ۝ وارجو بتحقيقي هواكم بان في ۝ فهدي ولا انقض عقدا ولا تنسخ
وما الحب الا ما استقل ثوابه ۝ لمبناه رضى في الجوانح او رضخ ۝ اذا اسلكت لم يستقم بطرافه
سلكت لعيد الامثل ما يسلك الرخ ۝ بدى لغيمي من سناكم تشبح ۝ فنيخ لعقل لم يطر عنه شامخ
على عود ذاك النجم مازالت نادبه ۝ كما نادت الورقاء فارقها الفرخ ۝ بدى بابادكم وقلبي بنا على
فمن فكرتي ينج ومن املي ينسخ ۝ وقال ۝ اليك تحن النجب والنجبا
فهم وهي في اشواقهم شركا ۝ نجب بركاب محبت وضواها ۝ لارض بها باد سناء دسنا
فانفاسها ما اذ تنى صعدا دها ۝ وانفسهم من فوقها سعدا ۝ هم ما الجوا اذ امحلوا السير وآهم
واشباه مثل مدنفون بطاه ۝ فقدت ودو في الحبيب ثر حلواه ۝ وما قاعدا والراحلون سوا
له وعليه حب قلبي وادمعي ۝ وقد صح لي حب وسح بكاه ۝ بطيبة هل ارضي وتبدو سماؤها
وان تك ارضا فالحبيب سماه ۝ شذى نفحها اذ النجم منه كانه ۝ ذكاء عبير والعبيراء ذكا
فيا حاديا يا عنى والركب حاديا ۝ عنانى بعد البعد منك عناه ۝ تبلغ فسل عما اقاسي من الهوى
وسل ايقاء اذ يلوح فناه ۝ وقعالج مني بقلبي لاعج ۝ وقل لي علاج عنده وشفا
وللمرفقين ارقم الشوق لادغ ۝ وردياقه ان لو يباح لقاه ۝ اماكن تمكيني وارض بها الرضا
وارجاء فيها للمشوق فارجاه ۝ وقال ۝ ادب الفتى فانبرى مستقطا
لاوامر من دينه ونواهه ۝ فاذا تمسك بالهوى يهوى به ۝ فالحبل منه لمن تيقن واهي
وقال ۝ يامن بدنياه ظل في لجج ۝ حقق بان النجاة في الشاطي
نطمع في ارتك الفلاح وقد ۝ اضعت ما قبله من افراط ۝ كن حذرا في الذي طمعت به
من جج نفقد وجه اسقاطه ۝ وقال ۝ ترى شعرها الى غبط الشيمة
ذكت بتلاد في الروضة الغنية ۝ كما قابلت زهر الرياض وقبلت ۝ ثغورا قاحيه بان لوم لاثم
وقال ۝ وردد المشيب مبيضا بوروده ۝ ما كان من شعر الشبيبة حالكا
ياليته لو كان يبيض بالتقى ۝ ما سودته ما ثم من حالكا ۝ ان المشيب عيادة آية للردى
فاذا علاك اجد في ترحالكا ۝ وقال ۝ لوعة الحب في فؤادي تعاصت
ان تداوى ولو اخاف الفراق ۝ كيف يبراس من علة وعليها ۝ زائد علة النوى والفراق
فانسكاب الدموع جار نجاره ۝ والتهاب الضلوع راق فراقه ۝ ومن غريب الاتفاق انه قال
كنت جالسا بين يدي الخطيب ابي القاسم الناكر في صبيحة يوم بمسجد مالقة فقال لنا في اثناء
حديثه رايت البارحة في عالم النوم كان ابا عبد الله الجلياني يا تيني ۝ ببيتي شعر في يده وهما ۝
كل علم يكون للمرء شغلا ۝ بسوى الحق قادح في رشاد ۝ فاذا كان فيه لله حظ ۝
فهو مما يعده لمعاد ۝ قال فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الاديب ابو عبد الله
الجلياني والبيتان معه فعرضهما على الشيخ فاخبره انه صنعهما البارحة فقال له كل من في المجلس
اخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك فكان هذا من العجائب ولابي الحجاج المذكور تواليف منها كتاب
ملاذ المستعيذ في بعض خصايص سيد المرسلين اربعون حديثا وكتاب تخصيص القرب وتحصيل
الارب وقبول الراي الرشيد في تخميس الوتريات النبوية لابن رشيد وانتشاق النسمات النجدية
واتساق النزعات الجديه وغرر الاماني المسفرات في نظم المكفرات والنفحات الرندية والنحات
الزهدية مجموع شعره وحقايق بركات المنام في مراى المصطفى خير الانام والاستشفاء بالعدة و
الاستشفاع بالعمدة وتخميس البردة وترجيع الراقي في تنوع المراقي واعتلاق الوسائل بافضل
الوسائل ولمح البهيج ونفح الاريج في ترجيز كلام الشيخ احمد بن من عبارات حكمية واشارات
صوفية وكتاب تجريد رؤس مسايل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل
فهرسة رواياته ورجز ذكر مشايخ ابي عمر الطلمنكي وكتاب ارج الارجا في فرح الخوف والرجا اربعون
حديثا في الرجا والخوف وقد كان رحمه الله تعالى حيا حين الف لسان الدين الاحاطة رحم الله الجميع
ورايت على ظهر اول ورقة من الريحانة بخط الامام الشهير الكبير الشيخ ابراهيم الباعوني الدمشقي
رحمه الله ما نصه قال كاتبه ابراهيم بن احمد الباعوني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وبلغه من فضله
مطلوبه صاحب كتاب الريحانة اية من ايات الله سبحانه لوجاهة ادبه وطلاقة لسانه ذلاقة
وللقلوب به علاقة وفي خطه غلاقة يعرفها من عرف اصطلاحه بمطالعته ويفتح له بابه فهم ما
يتكرر من مراجعته فليتامل الناظر اليه والمقبل عليه ما فيه من الجواهر والنجوم الزواهر بل الازاهر
البواهر وليسبح الله تعجبا من قدرته جل وعلا ومواهبه التي عذب ماؤها النمير وحلا ويقف

عند تامل

عند تامل ذروة النظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى وقوله رحمه الله تعالى
وفي خطه غلاقة ليس المراد الا صعوبة الخط المغربي على اهل المشرق حسبما يعلم مما بعده والا فان خط لسان
الدين رحمه الله محمود عند المغاربة ولنقتصر من هذا الغرض على ما ذكر فان تتبعه يطول اذ هو بحر لا ساحل
له وكان لسان الدين رحمه الله مؤثر القضاء حاجة من امله وقصد بابه وامله سواء كان عدوا او وليا
او لعدا له وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب ابو يحيى بن عاصم رحمه الله عنه في ذلك حكاية في اثناء كلام رايت ان
اذكرها له لما اشتمل عليه من الفائدة وهو انه ذكر في ترجمة شمس العصر من ملوك بني نصر من كتابه المسمى
بالروض الاريض في اسم السلطان الذي كان ابن الخطيب وزيره وهو الغني بالله محمد بن يوسف بن اسمعيل بن
فرج بن نصر الخزرجي بعد كلام ما صورته كان قد جرى عليه التمحيص الذي ازعجه عن وطنه الى الدار البيضاء بالمغرب
من ايالة بني مرين فافادته المحنة والتجربة هذه السيرة التي وقف بي وحقا على حقيقتها والتجوا واضح
طرايقها وبلغنا منقولة بالسنة صدقهم معبرا عنها في عرف التخاطب بالعادة فلم يكن الوزير الكيس و
الرئيس الحسيب حريا ان من الاستقامة على قانون ولا يطرد ان من الثواب على اسلوب الا بالمحافظة على ما رسم
من القواعد والمطابقة لما ثبت من العوائد وكان ذو النبل من هذه الطبقة واولو الحذق من ارباب هذه
المهن السياسية يتعجبون من صحة اختياره لما رسم وجودة تمييزه لما قعد ويرون المفسدة في الخروج عنها
مزية لا ريب وان الاستمرار على مراسمها اكد واجب يتحرونها بالالتزام كما تتحرى السنن ويتوخونها بالاقامة كما
تتوخى الفرايض وسواء تبادر لهم معناها ففهموه او خفي عليهم وجه رسمها فجهلوه وحدثني شيخنا القاضي
ابو العباس احمد بن ابي القاسم الحسني ان الرئيس ابا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذي الوزارتين ابي عبد الله
بن الخطيب بسادته في جملة مسائل مما توقف عادة على اذن الوزير وكان معظمها فيما يرجع الى مصلحة الرئيس
ابي عبد الله بن زمرك قال الشريف فامضاها كلها له ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة فقال
له ذو الوزارتين ابن الخطيب لا والله يا رئيس ابا عبد الله لا اذن في هذا لانا ما استقمنا في هذه الدار الا بحفظ
العوائد ثم قال صاحب الروض فلما تاذن الله للدولة بالاضطراب واستحكم الوهن بتمكن الاسباب عدل
تلك القواعد الراسخة واستخف بتلك القوانين الثابتة فنشا من المفاسد ما عوز ردمه والعدد وترع و
شفعه واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه وتعذر فيه الدواء الذي يرجى نفعه وكان في صحبه من الجد
ما سنى اماله وانجح باذن الله اقواله واعماله فكان يجري الامر على رسم من السياسة واضح ونظر من الاراء
السديدة راجح ثم يخفر من الجد سياج لا يفارقه الى تمام الغاية المطلوبة من حصوله وتمكن مقتضى
الارادة السلطانية من فروعه واصوله انتهى كلام ابن عاصم واذ جرى ذكره فلا باس ان نلم بشيء من
احواله لان اهل الاندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب الثاني فنقول هو الامام العلامة
الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجة خاتمة رؤساء
الاندلس بالاستحقاق ومالك خدم البراعة بالاسترقاق ابو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي
الاندلسي الغرناطي قاضي الجماعة كان بها رحمه الله من اكابر فقهائها وعلمائها ورؤسائها اخذ عن الامام المحقق
الحسن بن سمعة والامام القاضي ابي القاسم بن سراج والشيخ الراوية ابي عبد الله المنتوري والامام ابي عبد الله
البياني وغيرهم ومن تاليفه شرح تحفة والده وذكر فيه انه ولي القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومنها
كتاب جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى وكتاب الروض الاريض في تراجم ذوي السيوف والاقلام والقريض
كانه ذيل به احاطة لسان الدين بن الخطيب وله غير ذلك وقد اطلنا الكلام في ترجمته من كتاب ازهار الرياض في اخبار
عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض ووصفه ابن فرج السبتي بانه الاستاذ المعلم
الصدر المفتي القاضي رأس الكتاب ومعدن السماحة ومنبع الاداب انتهى وقد تقدم بعض كلامه بما هو من
بديع نثره الذي يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله تعالى في قوله من كلام جلبت جملته في ازهار الرياض و
اقتصرت هنا على قوله بعد الحمدلة الطويلة ما صورته اما بعد فان الله على كل شيء قدير وانه بعباده
خبير بصير وهو لمن اهل نيته واخلص طويته نعم المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط و
القبض والرشد والغي والنشر والطي والمنح والمنع والضر والنفع والبطء والعجل والرزق والاجل والمسرة
والمساءة والاحسان والاساءة والادراك والفوت والحياة والموت اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
وهو الفاعل على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الافكون وهو الكفيل بان يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون
وان في احوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وعبرة لمن يفهم قوله تعالى
ان الله يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد بينما الدسوت عامرة والولاة امرة والقبلة مجموعة والدعوة
مسموعة والامرة مطاعة والاجوبة سمعا وطاعة واذا النعمة قد كفرت والذمة قد خفرت الى ان قال
والشعب المتفق بغير ع ولا يزيد المؤمن عزم الاخيار جعلنا الله ممن في عنى بخيره وبينما الفرقة حاصلة
والقطيعة فاصلة والفرقة واصلة والحبل في انبتات والوطن في شتات والخلاف يمنع دعي مناف و
القلوب شتى من عموم اشتات والطاعنة تمطي لعظم الوطن وقصمه ولخطه لحظ الخايف على عقبه
والاخذ بكظمه ويتوقع الحسرة اذ ياذن الله بجمع شمله ونظمه على كيد الشيطان ورغمه واذا بالقلوب
قد ايتلفت والمتنافرة قد اجتمعت بعد ما اختلفت والالفة بالالفة اقتربت الى الله وازدلفت والمنصرعة
الى الله قد ابتهلت في اصلاح الحالة التي سلفت فالقت الحرب اوزارها وادنت الفرقة النافرة مزارها
وملئت الالفة الدينية انوارها واوضحت النعمة الشهية اثارها ورفعت الوحشة الناشبة اظفارها

King Saud University Copyright

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)